نهج الصحابة رضي الله عنهم

روى ابن بطة في "الإبانة" (٦٢٠/٢)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤٩٧/٣٩)، والبلاذري في "أنساب قريش" (١٢٦٨)، والسرقسطي في "الدلائل في غريب الحديث" (٥١٧/٢) مختصرًا، وذكره مصعب الزبيري في "نسب قريش" (ص١٠٣)، وهو أثر صحيح:

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال: لقيَني ناسٌ ممَّن كان يطعن على عثمان ممَّن يرى رأي الخوارج، فراجَعوني في رأيهم وحاجّوني بالقرآن.

قال: فلم أقم معهم ولم أقعد! فرجعتُ إلى الزبير منكسرًا، فذكرتُ ذلك له.

فقال الزبير: إنَّ القرآن قد تأوَّله كلُّ قومٍ على رأيهم، وحملوه عليه، لعمر الله إنَّ القرآن لمعتدلٌ مستقيمٌ، وما التقصير إلّا من قِبلهم، ومن طعنوا عليه من الناس فإنَّهم لا يطعنون على أبي بكرٍ وعمر، فخذهم بسنَّتهما وسيرتهما.

قال عبد الله: فكأنَّما أيقظني بذلك، فلقيتُهم فحاججتُهم بسنَّة أبي بكر وعمر، فلما أخذتُهم بذلك: قهرتُهم وضعف قولهم، حتّى لكأنَّهم صبيانٌ يمغثون سُخُبَهم.

(المغث: المرس والدلك بالأصابع، والسخب: قلائد الخرز)

من فوائد الأثر:

• من أراد الفقه والعلم والفهم المستقيم، والتوفيق في إصابة الحق، والنجاة من البدع وفتن الشبهات والشهوات وأمراض القلوب: فعليه باتباع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن تطيعوا أبا بكر وعمر ترشُدوا». [رواه مسلم: ١٥٠٧] وقال صلى الله عليه وسلم: «اقتدوا باللذَين من بعدي: أبي بكر وعمر». [رواه أحمد: ٢٣٧١٧]

• فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأنه الفارق بين السنة والبدعة.

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فتنةً فقال: «اتبعوا هذا وأصحابه»، «هذا وأصحابه يومئذ على الحق» وأشار إلى عثمان رضي الله عنه. [رواه أحمد ٤٧٦/٣٣] وقد قال أحمد بن حنبل: رأيت السنة معلَّقة بعثمان رحمه الله، ورأيت الفتنة معلَّقة بالسلطان. [رواه الخلال في "السنة" ٨٢/١]

• الحذر من الاغترار بكثرة العبادة والتزهد وسعة العلم، وأن منشأ البدع هو احتقار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم الاستخفاف والاسترسال بحسن الظن بمجرد حسن العبادة.

كما قالت عائشة رضي الله عنها لما ذكرت مقتل عثمان رضي الله عنه: لا يغرنك أحد بعد النفر الذين تعلم، فوالله ما احتُقرت أعمال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نجم القرّاء الذين طعنوا على عثمان، فقرءوا قراءةً لا يقرأ مثلها، وصلوا صلاةً لا يصلى مثلها، وصاموا صيامًا لا يصام مثله، وقالوا قولًا لا نحسن أن نقول مثله، فلما تدبرتُ الصنع إذًا ما يقاربون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا سمعتَ حُسن قول امرئٍ فقل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، ولا يستخفنك أحد. [رواه عبد الرزاق ٤٤٧/١١]

• وجوب الرجوع إلى تفسير الصحابة رضي الله عنهم للقرآن الكريم، وأنهم الحجة القاطعة، وخطر أخذ مسلك أهل الزيغ والابتداع في تأويل القرآن بالآراء والأقيسة الفاسدة.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أخوف ما أتخوف على هذه الأمة: قوم يتأولون القرآن على غير تأويله. [رواه ابن أبي شيبة ٥٠٣/٧] وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما للخوارج: أتيتكم من عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد. [رواه النسائي في "السنن الكبرى": ٨٥٢٢]

كتبه: فواز محمد العوضي
الاثنين ١٤٤٦/١/١٦هـ
الموافق ٢٠٢٤/٧/٢٢